

النقد والتقرير

للاستاذ أحمد أمين

أصل كلمة النقد من نقد الدراهم وهو امتحانها ومعرفة الجيد والردى منها، فهي بهذا المعنى لا تقتصر على ذكر العيوب والتشهير بها، بل تدل على استعراض الشيء والوقوف على محاسنه ومساويه

وقد تستعمل في معنى الذم والعيب خاصة، ومنه حديث ابى الدرداء: «ان نقدت الناس نقدوك، وان تركتهم تركوك» فاستعمل الكلمة بمعنى العيب والذم

وهي بهذا المعنى ضد التقرير، فالتقرير مدح الشيء والثناء عليه، مأخوذ من قرظ الجلد دبغه بالقرظ، وقرظه بالغ في دباغه. وسموا المدح تقريراً «لأن المقرظ يحسن ويزين صاحبه كما يحسن القارظ الاديم» وبهذا المعنى يستعملها الكتاب المحدثون فيعنون بالنقد ذكر المساوى وبالتقرير ذكر المحاسن

ولست أعرض في مقالى هذا للكلمتين من الناحية الأدبية، فلا أعرض لمذاهب النقد الأدبى ومقاييسه، كما لا أعرض لأساليب التقرير وألوانها، وإنما أعرض لظاهرة نفسية تلفت النظر: هي أن الناس على اختلاف درجاتهم في البداوة والحضارة، والرقى والانحطاط، مولعون بالنقد أكثر من ولوعهم بالتقرير، ومولعون بالبحث عن العيوب وإظهارها والمبالغة في تصويرها أكثر من ولوعهم بالبحث عن المحاسن وإظهارها وتصويرها، وهم في ذلك بين اثنين: اما يمثل على المسرح يمثل دور الباحث عن العيوب المتجسس على السقطات، يستبشر كلما عثر على خفايا الزلات، ويقيس نجاحه بمقدار ما كشف من أخطاء، واما مشاهد لهذا المنظر، أكثر ما يهتم له العيب الفاضح والسقطة الشنيعة، يطيل التصفيق لكاشف الزلل ويمنح الإعجاب من أصاب من آخر مقتلاً

ومظاهر ذلك في الحياة كثيرة، فلا تكاد تجد عظيماً بأجماع، ولكنك كثيراً ما تجد أصاغر بأجماع، لأن النفوس ترتاح لمنظر الحقير إذ خرج من ميدان المنافسة، ونزل عن مستوى

المقارنة، ويضئها العظيم فتتلمس وجوه النقص فيه، وتخلقها إن لم تكن، وتبالغ فيها إن كانت، لأن العظيم يكلفها العناء في ادراك شأوه وبلوغ منزلته

ومن مظاهر ذلك أن مجالات عديدة في العالم كله تعيش على النقد، وليس - فيما أعلم - مجالات تعيش على التقرير، وقد أدركت هذه المجالات إدراكاً صحيحاً هذه الظاهرة النفسية، ورأت أن رواجها يكون أتم كلما ارتفعت نغمة هجوها، وكلما كان نقدها أقذع، وسهامها أنفذ، والجرائد في العالم تبذل المدح بالحب، والنقد بالقنطار، ومن آية ذلك أن الناس في كل أمة يقدرون - غالباً - جرائد المعارضة أكثر من قدرهم جرائد التأييد، فاذا تغيرت الحكومات وأصبحت جرائد المعارضة بالأمس جرائد تأييد اليوم، نزلت قيمتها من ناحية أنها لم تعد تروى رغبات الناس وشهواتهم

ثم، ما النقد الأدبى؟ أليس هو في الغالب ارضاء لعاطفة البحث عن الغلط والتشهير به؟ إذا مدح النقاد فبحذر وقدره أكثر مدحهم «طعم» يستدرجون به القراء لا قناعهم بأنهم عدول في تقديرهم، منزهون في ذمهم ومدحهم، حتى اذا اطمأن لهم القارئ بالغوا في النقد وأسرفوا في اللوم، وأكثر الناشئين من الأدباء يتطلبون الشهرة من طريق مهاجمة النابغين والتعرض لهم، والتسميع بهم، حتى إذا تصدوا للرد عليهم رفعوا من شأنهم إذ جعلوهم في منزلتهم، وقديماً حكى لنا «بشار بن برد»، أنه - وهو ناشئ - هجأ جريراً فأعرض عنه واستصغره، ولو أجابه لكان كما يقول أشعر الناس. قد يكره الناس الناقد الجريء، ولكنهم يهابونه ويلتفتون اليه ويشجعونه على أن يبنى نفسه من أنقاض ما هدم من غيره

ومن أكبر مظاهر هذه الظاهرة ارتياح الناس للهازيين الساخرين، وما يصدر منهم من هزؤ وسخرية، على شرط ألا يكونوا هم موضع الهزؤ والسخرية، فأوسع أبواب الظرف والكياسة، وأشد ما يستخرج الضحك والأمعان فيه ما لدع به الناس في أعراضهم وأخلاقهم وملكاتهم، والذي يعدّه الناس لطيف الروح خفيف الظل، بارع الظرف، هو من يومئذ الايماء الفاتكة ويرشح لسانه باللفظ يقتل به البريء الغافل، ويضحك به اللاهى المأجن

المعالي . . .

للدكتور محمد عوض محمد

الآن وقد بلغت ربوع الألب أيها الصديق !، فما أجدرك أن تلقى عصاك حيناً . ثم تنعم النظر فيما حولك من خلق عجيب ، ومن روعة آخذه بالآلأباب . . . في هذا الجزء الصغير الجليل من العالم أرادت الأرض أن تسمو وتعلو . . . أتراها كانت تريد أن تبلغ السموات ، ثم لم تلبث أن رأت هذا السمو قد أبلغها الزمهرير المهلك القارس ، فجمدت في صدرها الأمل والطموح ، واكتفت من الارتقاء بشيء لعلها تراه قليلاً ، ونراه نحن قليلاً ؟ . وأيا كان ذلك السر الغامض الذي جاش به صدر الأرض ، وأياً كان مطمئنها البعيد أو القريب ، فحسبي الآن وحسبك ما نتأمله فيها من حسن وما ننعم به من جمال .

في هذه البقعة المباركة رفعت الأرض مناكبها ، وأمغنت في الارتفاع ، وصعدت أعلامها في الهواء وأسرفت في الصعود . واصطدمت السحب بهذه الأطواد الشامخة فسالت السحب غيثاً مدراراً ، وانحدر الغيث على جوانبها جداول وأنهاراً . ثم اجتمع الماء من كل ناحية في هذه البطائح المطمئنة ، ولم يزل يجتمع حتى استحال إلى هذه البحيرات البديعة ، وقد نزلت اليوم على ضفاف واحدة منها . فراعك حسنها الهائل ، وفتنتك عيونها الساحرة ، واستهواك قوامها الرشيق ، وخدها الأسيل . . . ولقد بهرك منها

على كفايته ، ويسره أن يرى العيب ليقبض على فاعله ، وكلما أوغل في استكشاف العيب الدفين ، وتعمق في اظهار جريمة مستورة ، كان أدل على قدرته ونبوغه ، ويأسف ان لم يكن عيب . كأنه يشعر شعوراً باطنياً أنه ارهاص بأن لا حاجة اليه — والمصلح يستكشف العيب لاليشهر به ، ولكن ليعالجه ، وأقصى أمانيه ألا يكون عيب ، وإذا كان فأن يداوى ، ويعتقد أن مهمته تتم — مع السرور — يوم يزول المرض ويتلاشى النقص ، وأنه بنقده ولومه إنما يصف دواء يستأصل الداء ، ويأتي عليه أسوأ ما نرى أن يكون الناقد كالفرس الجوح ينال من الناس بهوجهه وخبطه ، أو أن يقف في نقده موقف الغر يداعب بالنار ، أو الطفل يلعب بالسكين .

وقد تقام حفلات التكريم للأشادة بصفات عظيم ، أو التنويه بمقام به من عمل جليل ، ولكن أكثرها حفلات تأيين ، تقام بعد أن اختفى المحتفل به عن المسرح وغاب عن الأنظار ، أو بعد أن أعجزته السن وخرج من ميدان العمل والمنافسة ، أو هي حفلات تجارية أقيمت لمنفعة المحتفلين لا المحتفل بهم الحق أن هذه العاطفة - عاطفة البحث عن الخطأ وإذاعته والولوع بالنقد أكثر من الولوع بالتقريظ - عاطفة تشارك الانسان في جميع أدواره

وتعليقها - على ما يظهر - يرجع إلى غريزة الأثر وحب النفس ، كأن الانسان يرى أن القول بعيوب الناس يتضمن القول بتفوقه ، والتشهير بأغلاطهم اقرار سلبى بنبوغه ، والعمل على تحقيرهم قد ينتج مع الزمن انفراده بالعظمة ، والسخرية منهم تستتبع الاعتراف بجلاله وحده

ولكن المدنية والحضارة ، والرقى العقلى والخلق ، تهذب من هذه العاطفة ، كما تهذب من سائر العواطف ، فالناقد المهذب يكتفى بالتلميح دون التصريح ، وبالإشارة دون التجريح ، يقول ما في نفسه ولكن يتخير الألفاظ ويتخير المواقف ، ويرفع عن الفاظ الغوغاء وأساليبهم ، والمقارنة بين الجرائد والمجلات ، وأساليب النقد في الأمم المختلفة تؤيد هذا كل التأييد

لو سار الأمر على المعقول لخنف كثير مما يصدر من لوم ونقد ، لأن أساس اللوم إمكان المسؤولية ، فإذا لم تكن فلا لوم ، فلسنا نلوم المرضى إن لم يأتوا بأعمال الأصحاء ، ولا نلوم البدوى كما نلوم الحضري ، ولا نلوم الجاهل بما نلوم به العالم ، ولا نلوم الطفل في المدارس الابتدائية إذا لم يحل معادلة جبرية أو نظرية هندسية إنما نلوم الإنسان عندما يكون في الامكان أن يفعل خيراً مما كان ، ولو قدر اللائمون تقديراً حقاً ما يحيط بالملوم من حالة عقلية وجسمية وبيئة اجتماعية ومن عوامل خفية معقدة يصدر عنها العمل لحففوا من غلوائهم ، ولطفوا من لومهم ، ولعلموا أن استحقاق اللوم نسبي يرتبط بالسن وبدرجة الثقافة والمدنية وحالة الفرد في أمته وموقف أمته في العالم ولو سار الناقد على المعقول ، لوقف موقف المصلح لا موقف الجاسوس ، إن الجاسوس يهمله أن يرى الخطأ ليبرهن